مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــرام

التاريخ : ١٩٧٥/١٠/٤

مذكرات الرئيس السادات

شيء جديد فى تاريخ الحروب العالمية : الجندى الفرد يهزم دبابة

لم ينتظر المشاة وعبروا قبل ضرب المدفعية

عبقريات عسكرية نباهى بها العالم كله

● عملية بدائية أذهلت الاسرائيليين

● اكتشاف من وحى بناء السد العالى

● كنا نعرف أنها عملية انتحار

مذكرات الرئيس السادات

طـورنا العـــلم العســـكرى

نعود الى الساعة الثانية بعد ظهر يوم السادس من اكتوبر حين هجمت طائراتنا على ارتفاع منخفض جدا لكى لا تظهر على الرادار الاسرائيلى . وعندما شاهدت قواتنا الرابضة على خط النار طائراتنـــا وهى تنقض على المواقع الاسرائيلية لم تنتظر صدور الامر اليها ببدء القتال ، واذا بالجزء الاكبر منها يعبر القناة كالسيل الهادر . وبالطبع صدر الامر فى الحال بالهجوم العام لجميع قوات الجبهة والانقضاض على مواقع العدو .

بدأت عندئذ مراحل تنفيذ الخطة وعبرنا القناة ، ولاول مرة يغير المصريون التخطيط العسكرى المتعارف عليه فى العـــالم كله ، والقاعدة العسكرية العالمية بل والتاريخية تحتم الا يقابل المدرعات سوى المدرعات . ولم يخرج احد من قادة الحروب فى التاريخ عن هذه القاعدة ، فيجب الا تواجه المشـــاة مدرعات ، فالمشاة بالتعبير العسكرى SOFT ولا تتحمل هجمات المدرعات الصـــلبة .

ولكن فى حرب اكتوبر — وهى الحرب التى قلبت كل الموازين العسكرية والسياسية والاقتصادية راســـا على عقب — نزلت قواتنا الخاصة مع قوات المشاة المدربة حاملة الصواريخ فى اليد وعلى الكتف . هجمت القوات مستعيدة منـــاطق ومواقع شرق القناة ، وذلك بعد ان تمكنت من القضاء على عـــدد كبـــير من الدبابات الاسرائيلية حتى تمهد الجو وتتيح الفرصة للدبابات المصرية لكى تعبر وتسجل فى تاريخ العسكرية العـــالمية اروع واعنف واكبر معارك الدبابات .

ولم يكن القضاء على الدبابات الاسرائيلية سهلا ، فقد سبقته عمليات اعجاز عسكرى خارق لكل قوانين الحرب .

كان من المفروض ان يبدأ ضرب المدفعية بأكثر من الفى مدفع بعد ضربة الطيران فورا . ثم يبدأ عبور المشاة ، ولـــكن عبور المشاة تم قبل ضرب المدفعية لانهم لم ينتظروا الامر بالهجـــوم كما قلت .

بدأ الاعجاز المصرى بتسلق المشاة للحاجز الترابى الذى كان يصل فى بعض مواقعه الى ارتفاع أكثر من ١٧ مترا . وقد تم التسلق بأساليب اذهلت الاسرائيليين والعالم كله معهم ، لاننا استخدمنا عمليات تكاد تكون بدائية مثل ســـلم الحبـــال الذى يحمله أول متسلق وعندما يصـــل الى القمة يقوم بمـــده حتي يتسلقه الباقون . وكان المتسلقون يحملون الاسلحة المضـــادة للدبابات مثل الصواريخ والمدافع من طراز ب ١٠ والاربيجيه ٧ وهى ثقيلة تماما . وبنفس السرعة اعـــدوا المدافع للانطـــلاق وهجموا على المواقع التى اعدها الاسرائيليون خلف الســـاتر الترابى فى شرق القناة لكى تهاجمنا منها قواتهم ودباباتهم فى حالة حدوث اى هجوم مصرى . سبق أولادنا جنـــود اسرائيل واحتلوا المواقع وسيطروا عليها لكى يغطوا قواتنا التى كانت تعبر فى تلك اللحظات الرهيبة .

بدات موجات العبور تتوالى وكان مهرجانا وطنيا فى غرفة العمليات . صحيح لم يكن هناك صوت ما ، فقد كان العمل الصامت والتفكير الهادىء يسيطران على تصرفات كل القادة .

ولم يكن يسمع سوى صوت الميكروفون الذى يعلن : **لقد عبر اللواء السابع وغرس العلم على الضفة الشرقية .**

كان اول تبليغ عن اول لواء مصرى يعبر .

ثم توالت الانباء بعد ذلك عن استعادة النقط الحصينة فى خط بارليف الذى يمتد على القناة مباشرة . كانت النقط الحصينة تتساقط مثل اوراق الخريف امام سيل اولادنا الهادر .

وبعد اربع ساعات كان من الواضح تماما ان الاسرائيليين فقدوا توازنهم بالكامل بضياع السيطرة على قياداتهم وقواتهم،

والسيطرة اصطلاح عسكرى يعنى القدرة التامة على الاتصال المباشر والسريع بين القيادات والقوات العاملة . ولذلك كان هدفنا القضاء على وسائل هذا الاتصال لكى نحقق عنصر المفاجأة، ويظل عامل المبادرة فى ايدينا، وكسب الوقت الى جانبنا

ومن اهم الوسائل للقضاء على فاعلية العدو هو العمل الحاسم والسريع لانهاء سيطرته على قياداته وقواته ، والى أن يستعيد العدو توازنه ويلم شمل قواته ، يكون الوقت اللازم لحسم المعركة لصالحه قد فات وبالتالى تصبح خسارته محققة. وهذا ما حدث بالفعل فى الساعات الاربع الاولى من القتال .

شىء لم يخطر على بال اسرائيل

بعد ذلك بدا سلاح المهندسين فى استخدام نظرية شق الحاجز الترابى بخراطيم المياه المكثفة . وهى النظرية التى لم تكن لتخطر على بال أحد من القادة العسكريين الاسرائيليين أو حتى العالميين . ولذلك فالجميع مذهولون حتى الان كيف حدث هذا بهذه البساطة ؟؟

والحقيقة ان هذه عملية مصرية مائة فى المائة استطعنا اكتشافها من خبرتنا الهندسية والعملية فى بناء السد العالى . فقد كان هناك سد رملى عندما بنى جسم السد الكبير لكى يحتل

المكان الذى ستدخل منه المياه الى محطات الكهرباء ، وعند الانتهاء من بناء السد العالى تقرر التخلص من السد الرملى عن طريق توجيه الخراطيم الى منتصفه لكى تحدث فيه ثغرة . عندئذ تتكفل المياه المحجوزة وراء السد الرملى بأن تجرفه فورا .

ولقد استخدمنا نفس النظرية لفتح الثغرات فى الساتر الترابى على القناة برغم أنه لم تكن هناك مياه تعمل على جرفه.

ولكننا اقتصرنا على فتح الثغرات التى تتيح عبور الدبابات . وفعلا نجحت النظرية نجاحا منقطع النظير .

خدعة مص القصب

استمر تركيب الجسور على القناة ولم تكن سوى جسور من طراز الجسور التى استخدمت فى الحرب العظمى الماضية والتى تحتاج الى فترة من ٥ الى ٧ ساعات لتركيبها وهى ما سمح لنا به الروس فى الوقت الذى كان عندهم الجسور الحديثة التى يمكن تركيبها فى نصف ساعة فقط ولم يرسلوها الا بعد عتابى الشديد لكوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى ووصلتنا قبل وقف القتال مباشرة . وعلى جسور من هذا الطراز القديم بدأ عبور الدبابات فى المساء . وتم كل شىء قبل مواعيده المنصوص عليها فى الخطة . فقد استطعنا استغلال الغرور الذى أصاب الاسرائيليين وأعماهم عن رؤية الامر الواقع بأبعاده الحقيقية .

كانوا واثقين أن عملية عبور القناة انتحار، وهى فعلا انتحار. وقد حاولت جولدا مائير تغطية الخيبة الاسرائيلية بادعائها أن اسرائيل لم ترغب فى البدء بالهجوم وتركت الضربة الاولى للعرب . وهذا الادعاء يتنافى مع الحقيقة تماما لاننا نعرف سياسة اسرائيل التى تعتمد على ما يسمى بالحرب الوقائية لاتفه الاسباب واسخف الاعذار . فقد كانت تهاجم لمجرد اية شبهة لا اساس لها من الصحة واليقين .

وهذا يدل دلالة واضحة على أن المفاجأة كانت كاملة بالنسبة لهم . حتى قادة الجبهة صباح ٦ اكتوبر قاموا بخداع آخر بأن جعلوا جنودهم يسترخون على ضفة القناة ويمصون اعواد القصب .

بتركيب الجسور ودخول القوات المدرعة فى أعقاب هجوم قواتنا الخاصة مع المشاة المدربة ، حطمنا نظرية الدرع بالدرع ، والدبابة بالدبابة ، كما قلت .. هجم جنودنا بمدافع الآربيجيه وصواريخ الميلوديكا المضادة للدبابات ، وبالاضافة الى ضربهم المباشر ، كان هناك الضرب غير المباشر للمدفعية الثقيلة . ومن خلال الهجمات المباشرة والسريعة ، قضوا على هجمات الاسرائيليين الذين بذلوا اقصى ما فى وسعهم لوقف العبور .

هكذا عبرت قواتنا المدرعة كلها ووصلت الى الخط المقرر لها فى الخطة . وتم تنفيذ كل العمليات المتصلة بالخط الاول قبل مواعيدها المقررة ، وذلك استعدادا لتطوير الهجوم الى المرحلة الثانية بالوصول الى الخط الثانى عند المضايق .

العبقريات التى أنجبتها مصر

كان المعطل الوحيد قد تمثل فى موقع واحد فى الجيش الثالث امام السويس . فعندما وجهت خراطيم المياه الى الساتر الترابى

احدثت فى الارض نوعا من الرخاوة واللزوجة بسبب ملوحة الارض فى تلك المنطقة . ولذلك كان عبور الدبابات صعبا لاول وهلة، لدرجةان الدبابةالاولى غرزت وعجزت عن التقدم ، عندئذ تصرف القائد بحكمة لكى لا يضيع الوقت الثمين ، فامر باعادتها والقائها فى القناة لكى تخلى الطريق للدبابات التالية . ونفذ هذا حرفيا وتم اخراج الدبابة اخيرا فى عمليات تطهير القناة التى تمت قبل افتتاحها فى ٥ يونيو ١٩٧٥ .

وقد يلاحظ القارىء اننى تحاشيت التحدث باستفاضة عن الجانب الفنى العسكرى للمعركة ، فقد فضلت ان اترك هذا الجانب للفريق أول محمد عبد الغنى الجمسى الذى كان مديرا للعمليات اثناء الحرب ، لكى يكتب التاريخ العسكرى بكل تفاصيله الدقيقة ، فهو تاريخ لن يدرس فقط فى كلياتنا واكاديمياتنا العسكرية بل فى كل معاهد العالم العسكرية . **والجمسى بالذات من العبقريات العسكرية التى انجبتها أرض مصر الطيبة ، والتى ابرزتها حرب اكتوبر عمليا للعالم اجمع . ونستطيع الان القول بان حرب اكتوبر كانت مدرسة عسكرية تخرج فيها من القادة العظام من نتباهى بهم امام العالم منامثال : الجمسى، وحسنى مبارك ، ومحمد على فهمى ، واحمد بدوى ، وفؤاد عزيز غالى ، وابو سعدة وعبد العزيز قابيل وكثيرون آخرون .**

كيف نتكلم ؟

كانت الحملة الاعلامية المصرية على مستوى المعركة أيضا . وتجلى هذا فى اسلوب صياغة البلاغات العسكرية . فاذا اخذنا البلاغ الاول الذى أعلن ان قواتنا تتعامل مع العدو وترد عليه قبل اعلان العبور ، نجد انه حدد بعض المناطق فى البحر الاحمر والبحر الابيض، لكى تتفاداها الملاحة والطيران الدوليان، حرصا منا على الامن العالمى . فقد كنا — كما قلت — نعمل على احداث

اســـاليب العلم وضرورات العصر . وكان لهـــذا تأثير كبير على الاسرائيليين انفسهم . فقد ظنوا اننا نقول كلاما لمجرد الاستهلاك المؤقت ، ولســـنا بقـــادرين على تنفيذ ما نقول ، ولذلك لم يعبأوا بتحذيراتنا ، ولكنهم عادوا الى صوابهم عندما ضربت سفينة لهم كانت فى طريقها الى ايلات ولم نعلن اننا ضربناها . ادركوا فى الحال اننا نعنى ما نقول واوقفوا الملاحة فى المناطق التى حددها بلاغنا .

مفاجـأة الســفير الســوفيتى

فى غرفة العمليات ، توالت البلاغات بسقوط النقط ورفع العلم المصرى هنا وهناك . واصبحت اللواءات تتنافس فيما بينها على رفع الاعلام وخاصة عندما تسمع لاسلكيا ان لواء جديدا رفع العلم وهكذا .

وظللت اتابع الموقف من غرفة العمليات حتى الساعة الثامنة الا ثلثا ، عندما ابلغنى قصر الطاهرة أن السفير السوفييتى طلب مقابلتى لابلاغى رسالة عاجلة من القادة السوفييت . واذ بالسفير يبلغنى ان الرئيس حافظ الاسد قد طلب وقف اطلاق النار فى ظرف ٤٨ ساعة . وتوالت مقابلات السفير السوفييتى لى كما سردت من قبل فى هذا التسجيل .

وكل هذه التفاصيل السياسية مثبتة فى دفتر يوميات المعركة . فقد كلفت عبد الفتاح عبد الله لكى يســجل يوميات العملية الســياسية تماما كما كانت يوميــات العملية العسكرية تسجل فى غرفة العمليات اولا بأول . وعلى هذا سجل عبد الفتاح عبد الله كل المحادثات التى دارت بينى وبين الســفراء او غيرهم من المســـئولين المعنيين بالاحداث الدائرة فى المنطقة .

حسنى مبارك

الفريق اول الجمسى

الفريق محمد على فهمى

اللواء احمد بدوى

اللواء فؤاد غالى

اللواء حسن ابو سمده